

أضواء البيان

@ 186 أطلّمْ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدِّمَتْ يَدَاهُ { . } أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ الْفُقَرَاءِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ { . } قد قدّنا بعض الآيات الموضحة له في آخر سورة (مريم) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا } . { . } أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ { . } قد قدّنا الآيات الموضحة له في سورة (طه) ، في الكلام على قوله تعالى : { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ السُّبُلَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى } ، وقد أوضحنا تفسير الأرض الجرز مع بعض الشواهد العربية في سورة (الكهف) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا } . { . } وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ { . } أظهر أقوال أهل العلم عندي هو أن الفتح في هذه الآية الكريمة هو الحكم والقضاء ، وقد قدّنا أن الفتح : القاضي ، وهي لغة حميرية قديمة ، والفتاحة : الحكم والقضاء ، ومنه قوله : وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ { . } أظهر أقوال أهل العلم عندي هو أن الفتح في هذه الآية الكريمة هو الحكم والقضاء ، وقد قدّنا أن الفتح : القاضي ، وهي لغة حميرية قديمة ، والفتاحة : الحكم والقضاء ، ومنه قوله : (ألا من مبلغ عمرًا رسولا % بأني عن فتاحتكم غني) % .

وقد جاءت آيات تدلّ على أن الفتح الحكم ؛ كقوله تعالى عن نبيّه شعيب : { عَلَيَّ اللَّيْلُ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْدَنَا وَبَيْدَنَا قَوْمَنَا بِالْحَقِّ } وَأَنْتَ خَيْرَ الْهَادِينَ { ، أي : احكم بيننا بالحق ، وأنت خير الحاكمين . } . وقوله تعالى عن نبيّه نوح : { قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّابُونَ * فَافْتَحْ بَيْدِي وَبَيْدَنَّهُمْ فَتَحًا } ، أي : احكم بيني وبينهم حكمًا . وقوله تعالى : { قُلْ يَجْمَعُ بَيْدَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْدَنَا بِالْحَقِّ } وَهُوَ الْفَتْحُ

الْعَلِيمُ } ، وقوله تعالى : { إِنْ تَسْتَفْتِحُوا °